
حِكَايَاتُ النُّور
الْكَلِمَةُ السِّحْرِيَّةُ
نُور باقدمير

الْكَلِمَةُ السِّحْرِيَّةُ

دار النيل



حكَايَاتُ النُّوْر-١
الْكَلِمَةُ السِّحْرِيَّة

الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

ترجمة: سلوى كَتَاو أُكْصُوي

تحرير: عبد المولى علي

تصحيح: عبد الجواد محمد الحردان

تصميم: حسين قاسم أُوغْلو

صور: مراد سَوِيْنْج

غلاف: ياووز بِلْمَاز

رقم الإيداع: 978-975-315-491-8

رقم النشر: ٤٤١

IŞIK YAYINLARI
Bulgurlu Mah. Bağcılar Cad. No:1
Üsküdar - İstanbul / Türkiye 34696
Tel: +90 216 522 11 44 Faks: +90 216 650 94 44

دار النيل للطباعة والنشر
الإدارة: ٢٢ ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي - خلف سيتي بنك- التجمع الخامس- القاهرة الجديدة – مصر
Tel & Fax: 002 02 26134402-5
Mobile: 0020 1000780841
E-mail: daralnile@daralnile.com

مركز التوزيع: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة - مصر
Mobile: 0020 1141992888

www.daralnile.com

الْكَلِمَةُ السِّحْرِيَّة





– أعرف أنَّك تحبّ المغامرة يا كريم، اجلس لأحدثك عن مغامرة تحبّها، قرأت اليوم في كتاب الجغرافيا عن قارّة عجيبة لا يفصلنا عنها سوى هذه الجبال.

– لا أظن أنّ أحدًا من أهل قريتنا سمع عنها أو زارها، ما رأيك أن نغامر معًا يا سالم؟



– لا تستعجل الأمور يا كريم، هذه مغامرة خطيرة، اصبر عليّ لأقص عليك خبر هذه القارّة.

– حدِّثني عنها يا سالم، حدِّثني، صدِّق أو لا تُصدِّق: كلَّما كانت المغامرة أخطر أحببتها أكثر فأكثر.

– يقول الكتاب يا كريم: كل شيء في تلك القارة أعجوبة، فأصغر ما فيها فيه لغز كبير، سكانها شباب لا يهرَمون ولا يموتون، جمالهم ساحر وسعادتهم لا يتخيلها العقل، كل من سمع عن هذه القارّة أحبّ أن يعيش فيها، نعم يا كريم فمروجها خضراء تغرد

فيها العصافير وترقص الفراشات، ومنازلها قصور باهرة، تجري من تحتها الأنهار من ناحية إلى أخرى متدفقة مترقرقة، وأشجارها مثقلَة بفاكهة لا تشبع منها العين وبرائحة زكيَّة تملأ الأفق...

– اختصر يا سالم، أكاد أموت شوقًا إلى العيش في هذه الأرض الطيّبة...

– باختصار يا كريم: فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنُ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

– ما رأيك؟ إنَّها تستحق المغامرة حقًّا، لكن المشكلة يا كريم في تلك الجبال التي تخفي وراءها صحارى شاسعة، بل المشكلة في مخاطر الطريق، يقولون: إنَّه شيء لا تطيقه نفوسنا نحن معاشر الشباب، ولكن الذي يشجعني على المغامرة معك تلك المتعة التي يتمناها الشباب وهي متعة لا حدود لها كما يقولون.





قرر سالم وكريم الانطلاق مهما كان الخطر كبيرًا، فانطلقا حتى إذا اجتازا القمم العالية وركبا متن الصحراء أضلّا طريقهما فلقيَا شيخًا وقورًا يقود قافلة كبيرة...

الشيخ وقد علم وجهة كريم وسالم:

– لا أظنّ أنّكما تستطيعان الوصول إلى هذا المكان، أمامكما عقبات كثيرة؛ هناك جنود يقومون بدوريات متواصلة على طول الحدود ولن يسمحوا لكما بالمرور، وهناك لصوص في كلّ مكان هوايتهم المفضّلة الاعتداء على الناس، ووراء ذلك حيوانات مفترسة أخشى أن تكونا فريسة سهلة لها، ولا تنسوا العواصف الشديدة التي تثور فجأة فتُثير رمال الصحراء ولا يمكن للإنسان أن يميز حينها الأرض من السماء.

ورغم كل هذه التحذيرات كان سالم وكريم مسحورين بما سمعا عن جمال تلك القارة وسعادة أهلها؛ لذا ردًّا على الشيخ بعزمٍ وإصرار: هذه الرحلة أهمّ من الحياة وما فيها، لن نتردَّد أبدًا.»

الشيخ مشفقًا عليهما وناصحًا لهما: أخاف عليكما، وأتمنى لكما السلامة والأمان...

الشيخ مرَّةً أخرى: سأعطيكما...

تفضل يا عمّ هل عندك شيء تقدِّمه لنا لنحمي به أنفسنا في هذه الرحلة؟

الشيخ: نعم سأعطيكما الكلمة السحرية التي نحمي بها قافلتنا في هذه الصحراء عادةً.

– الكلمة السحرية؟!

الشيخ مقسِمًا: نعم وربّي الذي يعلم السرّ وأخفى، إنّها تضمن لنا حماية ملك الزمان، إنَّها طوق النجاة الوحيد في هذه الصحراء، إنَّها سفينة النجاة للوصول إلى برّ الأمان في أرض العجائب التي تحلمون أن تعيشوا فيها.



همس سالم في أُذُن كريم: ما رأيك، إنَّها فرصة، تعال نتعلم هذه الكلمة السحرية، الشيخ لا يكذب، سنضمن سلامة حياتنا ونصل إلى غايتنا، هلمّ يا كريم...

كريم ساخرًا ومتفاخرًا: لا حاجة إلى كلمة سحرية ولا غيرها يا سالم، أنت تعلم أني لم أكن أهاب شيئًا في مغامراتي كلها...

تعلم سالم الكلمة السحرية ومضى وهو مطمئن، وبينما كان يسارع ليُدرِك صديقه كان لسانه لا يتوقف عن تكرار تلك الكلمة، فهي حِصنُه الوحيد، فإن نسيها خسر الدّنيا والآخرة...

واجه الصديقان في طريقهما صعوبات بالغة تحت أشعة الشمس اللاهبة وفوق الرمال الحارقة، أمَّا حر النهار فلم يكن يحجبه عنهما سوى برد الليل القارس...

- تعال نستريح في ظل هذه الصخرة يا كريم، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.



– آتنا غداءنا يا سالم، نكاد نموت جوعًا.

ولم يمض وقت طويل حتى وقعت الكارثة وأُلقِي القبض عليهما...

قائد حرَس الحدود وقد ألقى جنوده القبض على سالم وكريم عند تلك الصخرة:

من أنتما؟ من أين جئتما؟ إلى أين تذهبان؟

وكانت المفاجأة... ها هو قائد حرس الحدود يكرِم سالمًا ويأمر الجنود أن يعتقلوا صاحبه!

كان قائد الحرس قد سمع سالمًا يردد كلامًا لا يكاد يعرفه أحد، إنَّه يردد كلمة الأمان التي يعطيها ملك الزمان لمن يحبهم ويحبونه، إنها الكلمة السحرية التي تعلمها سالم من ذاك الشيخ الوقور.

علم قائد الحرس أن سالمًا دخل تحت حماية الملك فأكرمه وأهداه سلّة فاكهة وأطعمة ومشروبات لم يرها سالم من قبل، وناوله خريطة تدله على أقرب الطرق للوصول إلى تلك القارّة.

ومضى سالم في طريقه وترك خلفه صديقه وراء القضبان، سُجِن كريم في زنزانة مظلمة جزاء على عبوره الحدود بدون تأشيرة.

كان كريم ذكيًا جدًّا، ضاقت نفسه وكاد يختنق، وكانت المفاجأة...



احتال كريم على الحرس وتمكن من الهرب وانطلق نحو هدفه جائعًا عطِشا تائهًا بين كثبان الرمال في الصحراء، كأنَّه يدور حول نفسه ولا يهتدي إلى طريق مستقيم.

– ما أروعها مِن علامة! هذه آثار أقدام مرّت من هنا...

ومضى كريم يتتبع أثر الأقدام، وفجأةً انقطع الأثر وتاه كريم مرّة أخرى...

ومضى في هذا التيه زمنًا طويلًا، ثم اهتدى إلى أثر آخر للأقدام...

كان كريم يشعر أنه يسلك طريق سالم، لكن أنَّى له أن يعرف: نجا أم هلك؟

وهناك حصل ما لم يكن في الحسبان، كان اللصوص قد نصبوا كمينًا للمارّة، وقع سالم في قبضتهم، أمَّا كريم فلم يصل إلى تلك النقطة بعد.

وكان اللصوص يهابون ملك الزمان، وكان أكبرهم يعرف كلمة الأمان التي يعلّمها الملك لمن يحبهم ويحبّونه.

كان سالم وهو مقيّد بالسلاسل الحديدية يغمغم بكلمات لا يفهمها اللصوص...

اقترب أحدهم من أكبرهم مذعورًا: سيدي سمعته يغمغم بكلمات لم نفهمها، أخشى أن يكون ساحرًا أو جاسوسًا...





انتفض كبير اللصوص مكشِّرًا: تخشى أن يكون ساحرًا أو جاسوسًا؟ سأرى الحقيقة بنفسي... ائتوني به على الفور.

كبيرهم: من أنت؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين تذهب؟ وما هذه الكلمات التي تردّدها؟

لم يكن سالم يجيب على تلك الأسئلة، إلا أنَّه راح يردد بين يدي كبير العصابة ما كان يردّد وهو مكبَّل بالسلاسل.

أحد أفراد العصابة: هذا ما سمعته يغمغم به هناك، أخشى أن يكون...

كبيرهم: كفى يا هذا، لا عليك...

ولم يكن أحد من أفراد العصابة يعرف هذه الكلمة سوى كبيرهم...

عندها التفت كبير العصابة إلى رفاقه آمرًا بحزم: أطلقوا سراحه، وأبلغوه مأمنَه.

ومضى سالم حرًّا طليقًا ولسانه لا يتوقف عن تكرار الكلمة السحريّة.

كان كريم يتتبع آثار الأقدام ليهتدي إلى الطريق المستقيم، مضت الأيام والخوف يمزقّه والجوع يكاد يقتله والعطش برّح به، رأى سرابًا من بعيد فأسرع نحوه، وهناك كانت الفاجعة، كان اللصوص يتلهفون لصيد ثمين، وقع كريم في قبضتهم، أخذوا ما عنده من الجواهر الثمينة، وعليه الآن أن ينحني لكبيرهم ويرجوه ليطلق سراحه... شعر كريم بالأسى، لكنه سارع إلى تلبية ما يريدون، فهو يرى نهايته في شرر عيونهم...

مضى كريم في طريقه والموت أقرب إليه من الحياة، فالجوع يقتله والعطش يصرعه والرعب يسابق أجلَه، هذه الثلاثة كانت كأنها تتسابق في القضاء عليه.



عاد بريق الحياة إلى كريم من جديد، فها هو يرى أمامه دوحةً خضراء فلعل من ورائها ماء ينقذ به نفسه من الهلاك، وكان يُسرِع ويُسرِع وهو يلهث يكاد يقتله العطش، وكلما أسرع أكثر بدا الماء أبعد، وكلما ظن أنه وصل خاب ظنُّه، أيقن أنه يطارد سرابًا، فانهارت قواه وكاد اليأس يقتله، فسقط صريعًا وراح يغط في نوم كان فيه أشبه بمن يعاني سكرات الموت.

استيقظ كريم على صوت نواح وعويل، امتلأ خوفًا وفزعًا، كان يظنّ أنّ هذا بكاء معذّبين مثله، كان الظلام دامسًا والعاصفة تقتلع الأرض والرمال تقتحم السماء، وقف كريم على قدميه وما لبث أن هوى على الأرض.



وما زال يحبو تارةً ويقوم ويسقط تارةً أخرى ليمضي صوبَ مقصده، لكن الذي يقلقه ويسائل نفسه عنه: أين هو الآن؟ أين تلك القارّة؟ متى أصل؟

وكان سالم قد مضى في رحلته تحرسه الكلمة السحرية أينما حلّ أو ارتحل، تصدّ عنه الخطر وتبعث فيه الأمل ويستقبله كل من يمر به أحسن استقبال.

هناك في واحة فوَّاحة في دوحة غنَّاء حطّ سالم رحاله، وجلس يمعن في الأفق لعلّه يلمح خيالًا من هناك، وعسى أن يكون هو...

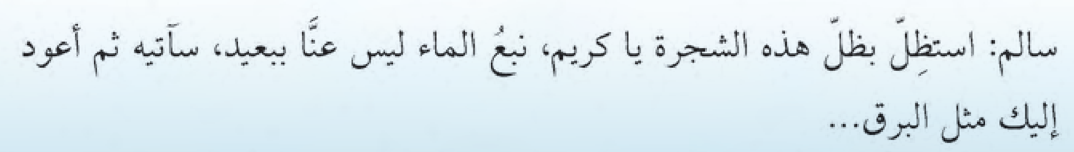
سالم وهو يحدّق في ذاك يحبو نحوه من بعيد: مَن يا تُرَى يكون هذا الشيخ المسكين، سأمضي وآخذ بيده حتى أبلّغه مقصده...

سالم: كأنني أعرفك يا عمّ...

كريم ونفَسه يتقطّع: نسيتني يا سالم، وخنقته العبرة ثم أغرقته الدموع.

سالم: كريم، يا الله! وراح يعانقه، ولا صوت يعلو صوت البكاء، دموعهما تتحدّث والتاريخ يسجّل، ها هو بطل المغامرات بات شيخًا لا يقوى على المشي، أنفاسه تتقطع وشبح الموت يطارده، لا أظن أنّ أحدًا يعرفه وإن كان أقرب الناس إليه...



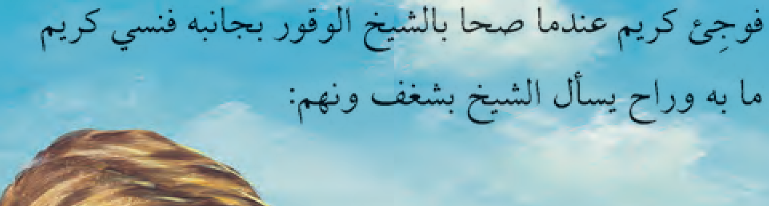


سالم: استظِلّ بظلّ هذه الشجرة يا كريم، نبعُ الماء ليس عنّا ببعيد، سآتيه ثم أعود إليك مثل البرق...

وفي طريق عودته رأى إلى جانب كريم شخصًا آخَر، وراح يسأل نفسه: من يكون هذا الشخص، ولماذا جاء؟ هل كان يلحق به ليقبض عليه مثلًا؟ وأسلم سالم نفسَه لبحر من الشكوك، وفجأة صحا من غفلته وراح يردّد الكلمة السحرية التي وجد فيها ملاذه الآمن وحصنه الحصين...

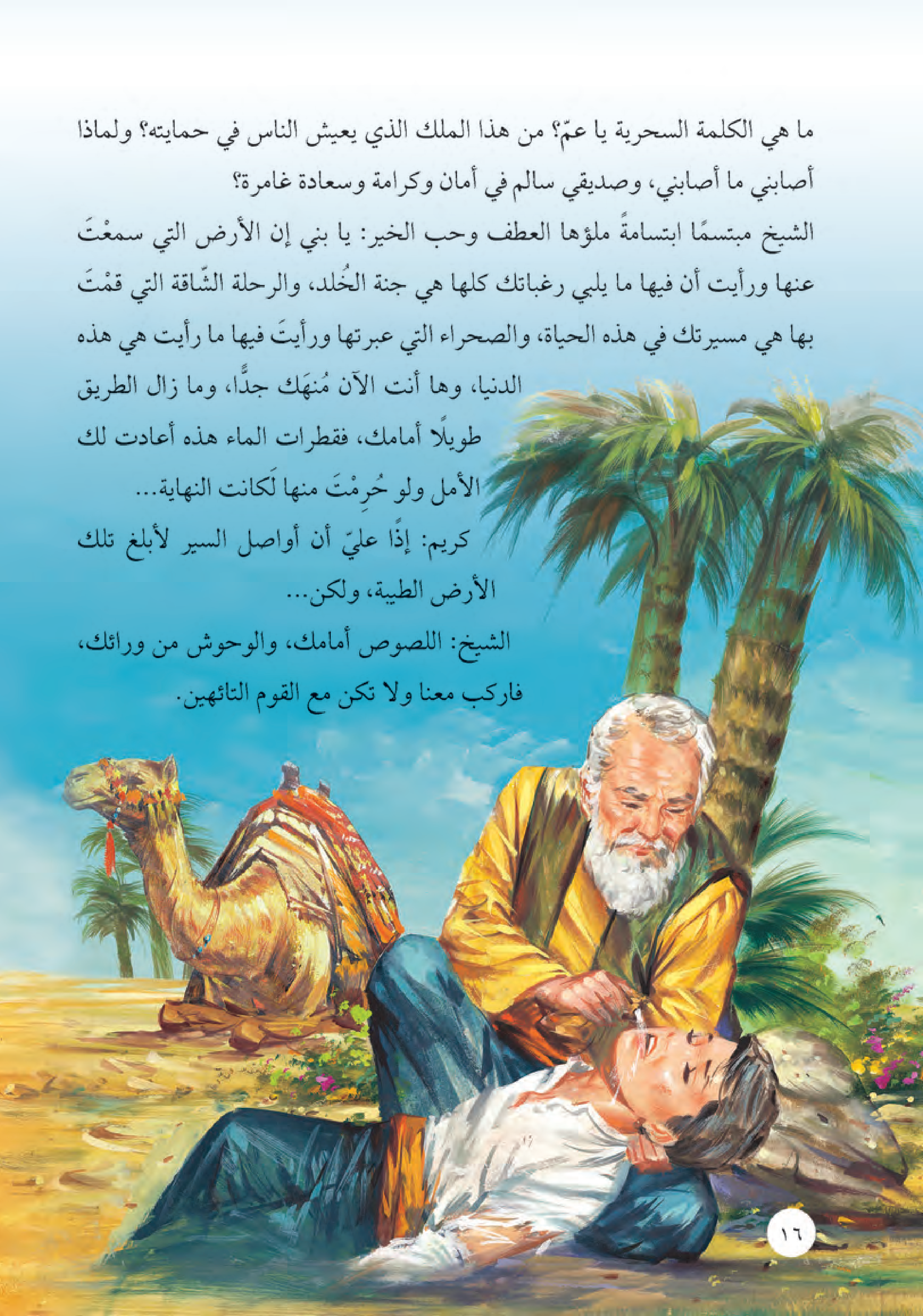
سالم وقد وصل: أهلًا يا عمّ، أهلًا يا عمّ... متى وصلت؟ كيف؟ من أخبرك أننا هنا؟ لك جزيل الشكر يا عمّ، كانت الكلمة السحرية التي تعلّمتها منك خيرًا لي من الدنيا وما فيها، وجدْتُ فيها الكرامة والطمأنينة والرزق والأمان.

ها هي روح الحياة تسري في كريم والماء يتقاطر على وجهه فيحيى به موَات قلبه...



فوجِئ كريم عندما صحا بالشيخ الوقور بجانبه فنسي كريم ما به وراح يسأل الشيخ بشغف ونهم:





ما هي الكلمة السحرية يا عمّ؟ من هذا الملك الذي يعيش الناس في حمايته؟ ولماذا أصابني ما أصابني، وصديقي سالم في أمان وكرامة وسعادة غامرة؟

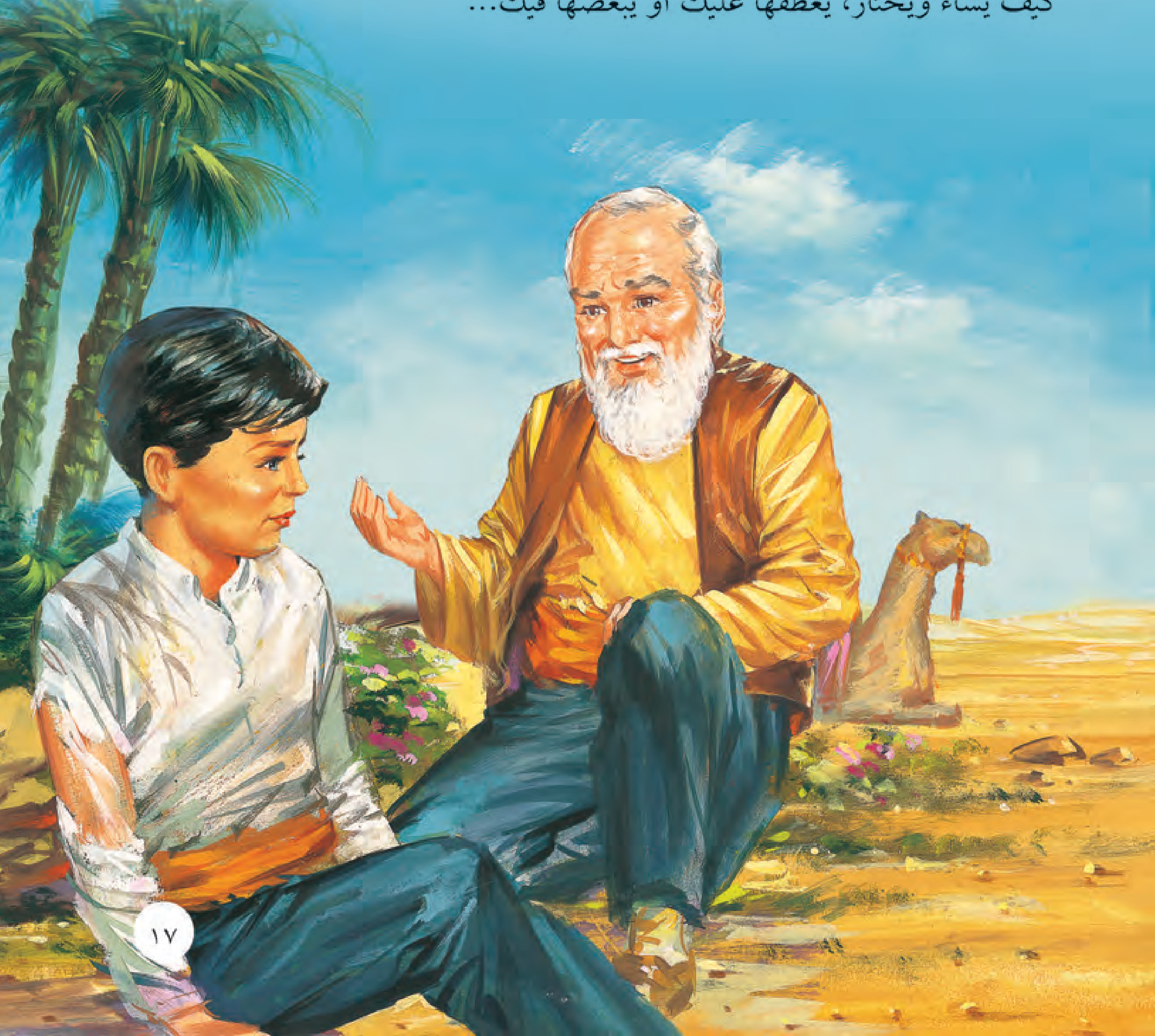
الشيخ مبتسمًا ابتسامةً ملؤها العطف وحب الخير: يا بني إن الأرض التي سمعْتَ عنها ورأيت أن فيها ما يلبي رغباتك كلها هي جنة الخُلد، والرحلة الشّاقة التي قمْتَ بها هي مسيرتك في هذه الحياة، والصحراء التي عبرتها ورأيتَ فيها ما رأيت هي هذه الدنيا، وها أنت الآن مُنهَك جدًّا، وما زال الطريق طويلًا أمامك، فقطرات الماء هذه أعادت لك الأمل ولو حُرِمْتَ منها لَكانت النهاية...

كريم: إذًا عليّ أن أواصل السير لأبلغ تلك الأرض الطيبة، ولكن...

الشيخ: اللصوص أمامك، والوحوش من ورائك، فاركب معنا ولا تكن مع القوم التائهين.

كريم: هذا ما أتمنّاه يا عمّ، ولكن كم أتمنّى وأتمنّى لو أنَّك علمتني الكلمة السحرية التي تجعلني في حماية ملك الزمان...

الشيخ مبتسمًا وكأنَّه يذكّره بما مضى: «بسم الله»، نعم يا كريم، هو الملك سبحانه، فاسمه مقدَّس عند خلقه جميعًا، باسمه سبحانه تغدو النقمة نعمة والبلاء عطاء، فهو سبحانه الرحمن بخلقه كلهم، الرحيم بمن علِم كلمة السر وإليها اهتدى، المعين، الكريم، لا يستغني عنه مخلوق وهو سبحانه غنيّ عن كلّ شيء، من عرف كلمة السر هذه فلن يخشى إلاه ولن يطلب شيئًا من أحدٍ سواه، فالقلوب بيده سبحانه يقلّبها كيف يشاء ويختار، يعطّفها عليك أو يبغضها فيك...



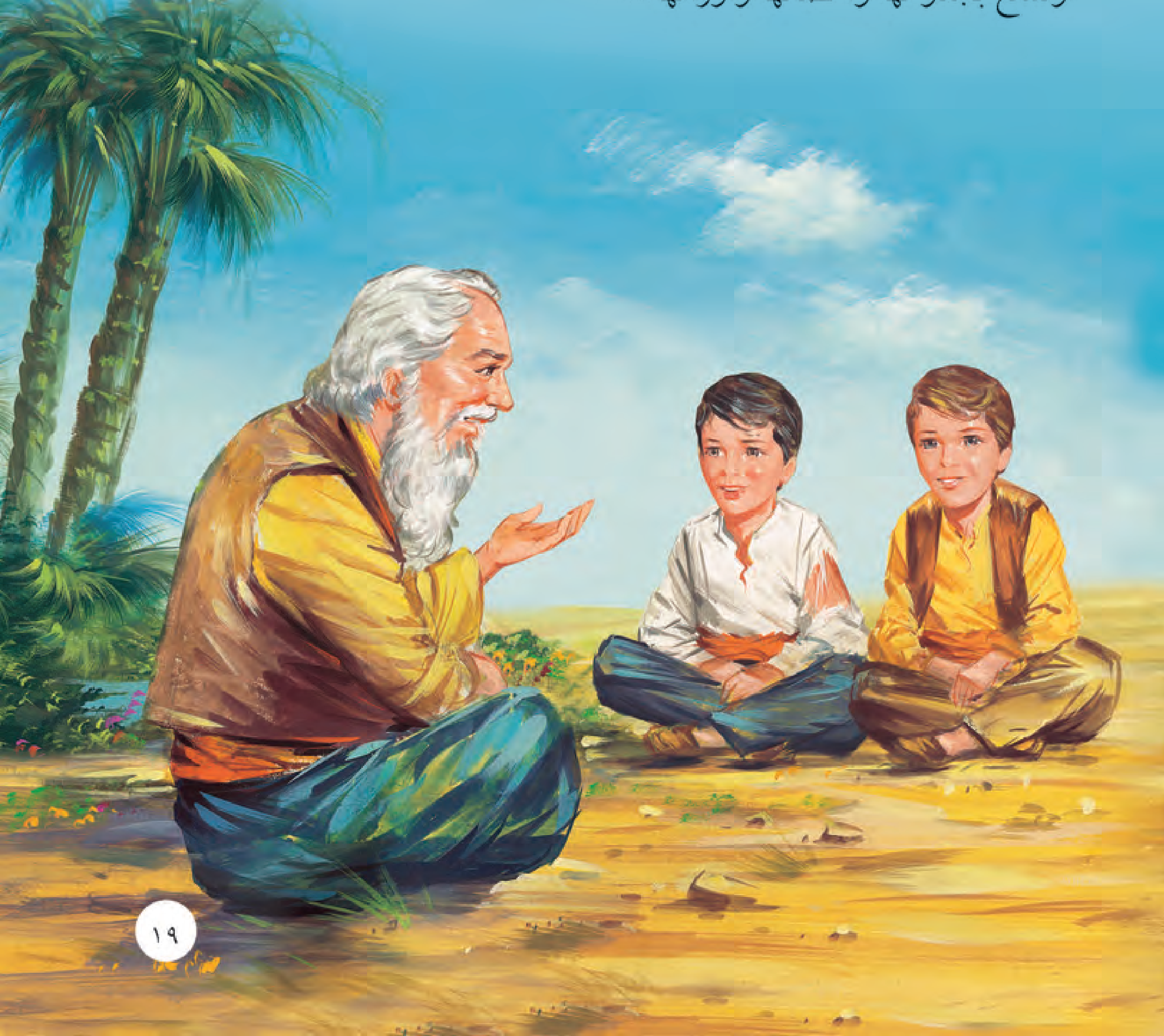
- تلك هي الكلمة السحريّة، مفتاح الأمان في كلّ مكان، حصنك الحصين من شر الإنس والجانّ، تعبر بها نحو برّ الأمان، وتبلغ بها أعلى المنازل هناك في الجنان، لقد سمعْتَ يا كريم عن جنّة من تلك الجنان فكان منك ما كان، فكيف بك إذا سمعْتَ عن الفردوس هناك تحت عرش الرحمن...

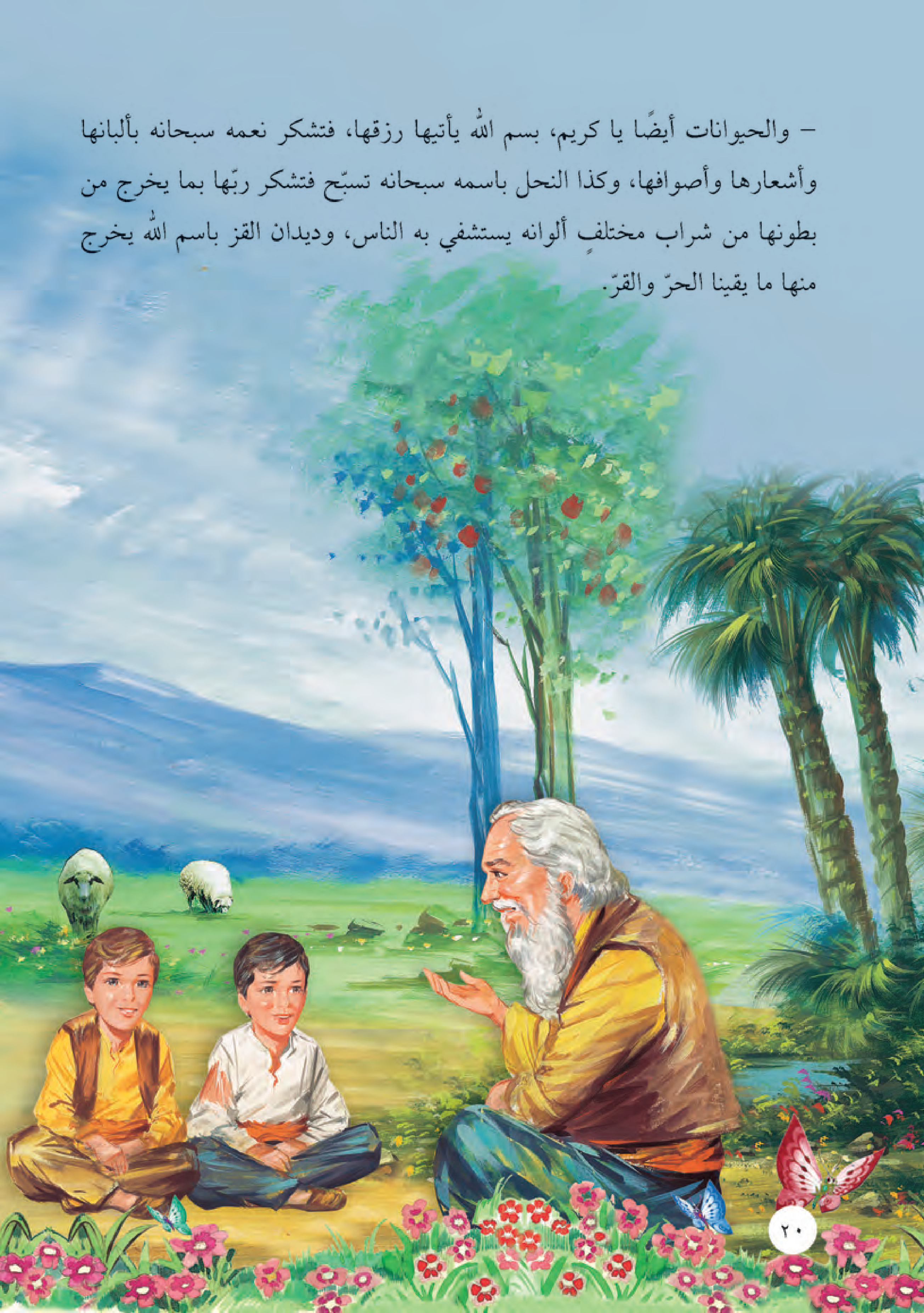
كريم: وهل البشر هم فحسب من يعرفون هذه الكلمة «بسم الله»؟



الشيخ متأمِّلًا في الكون: كل المخلوقات تقول «بسم الله» يا ولدي، ولكلٍّ منها لسان خاص يسبّح بحمده سبحانه، ولكننا لا نفقه تسبيحها... المخلوقات كلها يا ولدي مسخَّرة في خدمة الناس باسمه سبحانه؛ فلا تضر ولا تنفع إلا باسمه سبحانه.

الشيخ مستطرِدًا: وأكثر من ذلك يا كريم، فالبذور والنوى فيها أصل عناصر النمو التي تجعل منها أشجارًا مذهلة، كل منها يسبّح ويقول: بسم الله، تفعل ذلك لتشق بعروقها الطرية الغضّة الأرضَ الصلبة والصخور، ولتقاوم أوراقها الضعيفة أشعة الشمس الحارقة، وها أنت تراها يا كريم تشكر لله على نعمه فتهدينا من ثمارها وننتفع بجذوعها وأغصانها وأوراقها...





- والحيوانات أيضًا يا كريم، بسم الله يأتيها رزقها، فتشكر نعمه سبحانه بألبانها وأشعارها وأصوافها، وكذا النحل باسمه سبحانه تسبّح فتشكر ربّها بما يخرج من بطونها من شراب مختلفٍ ألوانه يستشفي به الناس، وديدان القز باسم الله يخرج منها ما يقينا الحرّ والقرّ.



الشيخ متفكِّرًا: أتدري يا كريم، هذه المخلوقات العجماء البكماء تعلمنا أنّ ثمن النعم واجب لا يليق بعاقلٍ أن يتغافل عنه، فالأطعمة والثياب التي تقدِّمها تلك الحيوانات إنّما تقدّمها لنا شكرًا لله الذي أنعم عليها بما أنعم... فهل يليق بالعقلاء أن يجحدوا تلك النعم ولا يؤدوا شكرها.

كريم بأدبٍ ولطف: كيف نشكر المنعم على هذه النعم يا عمّ؟

الشيخ: أوّل ذلك يا كريم أن ننتفع بها باسمه سبحانه، فنسارع إلى أن نقول بإيمان وفهم «بسم الله» عندما نأكل ونشرب ونلبس...

كريم: ماذا؟

الشيخ: نعم يا كريم، المنعم سبحانه لا يطلب منّا سوى أمور ثلاثة: أن نتفكر فيه، ونعرفه أكثر فأكثر، ونحمده...



كريم: حقًّا يا عمّ، فمن الظلم أن يشكر الرجل الرسولَ الذي سلّمه الهدية وينسى شكر الملك الذي أرسل له تلك الهدية.

– نعم، فالمالك الحقيقي للنعم كلّها هو الله... إذًا يا كريم «بسم الله الرحمن الرحيم» هي مفتاح الخير وكلمة السر وسفينة النجاة وبر الأمان، فينبغي أن نبدأ أفعالنا كلها بها.

– أراك على خير يا كريم...



ومضى كريم في رحلته والفرحة تغمره بعد أن كادت الحسرة تقتله لأنّه كابر ولم يتعلّم كلمة الأمان التي تجعله في حماية ملك الزمان...

